العرب
الثلاثاء 2021/09/07
السنة 44 العدد 12172

بعد سيطرة طالبان يبدأ البحث عن الحلفاء

فيصل اليافعي
كاتب ومحلل سياسي

غادر الأميركيون أفغانستان أخيرًا وبدأ عهد جديد للبلاد، ومن المرجح أن مؤرخي الحرب الأهلية الوحشية في أفغانستان قد تفاجأوا من مدى تشابه اليوم بالأمس، وكيف طفت على السطح بهذه السرعة شخصيات من فترة التسعينات.

فها هو قلب الدين حكمتيار، أحد أمراء الحرب الذين قصفت ميليشياته العاصمة بشكل عشوائي في التسعينات، ولم يُسمح له بالعودة إلى البلاد إلا منذ ثلاث سنوات مضت، ينضم إلى مجلس قد يدير البلاد، ويجلس إلى جانب الرئيس السابق حامد كرزاي.

وها هو أمير الحرب الأفغاني سيء الصيت عبدالرشيد دوستم، الذي اتُّهمت قواته بارتكاب جرائم عديدة، يسعى الآن إلى لعب دور وطني إلى جانب طالبان.

بالنسبة لباكستان، فهناك فرق ما بين تولي زمام الأمور من قبل جماعة إسلامية منبوذة ومحاذية للحدود، كما حدث في التسعينات، وأن تكون تلك الجماعة قد أطاحت للتو بالقوة العظمى المسؤولة ويتم قبولها دوليًا

أما أحمد مسعود، ابن أحمد شاه مسعود، أمير الحرب الموالي للولايات المتحدة، ويبقى من أمراء الحرب رغم موالاته لها، وقد حاربت ميليشياته حركة طالبان عندما كانوا في السلطة، ها هو يعود إلى أفغانستان ويكتب مقالات افتتاحية في الواشنطن بوست مقتبساً في مقالته من خطاب روزفلت، ومطالباً الأميركيين بتزويده بالمزيد من الأسلحة.

وهذه هي الأنشطة التي تفرزها إعادة النظر في المصالح والتحالفات المفاجئة، لقد خلق النصر والهزيمة حلفاء غريبين، وبينما يسعى السياسيون والميليشيات والدول بشكل عاجل إلى خلق تحالفات جديدة، يبدو وكأنهم مستعدون لتحمل أي قدر من طمس الحقائق التاريخية لمجرد البقاء على مسرح الأحداث، ولا حصانة لأحد من هذا المسلك الرخيص، لا الأميركيين ولا العالم الخارجي ولا حتى طالبان نفسها.

وفي غضون أيام، اضطرت الولايات المتحدة للتفاوض مع العدو الذي أمضت عشرين عامًا في قتاله، فقط لإخراج أفرادها من المطار سالمين. وتغيرت صورة حركة طالبان من مسبب الاضطرابات ومقوض الاستقرار إلى "الناس الطيبين"، الذين يحاولون منع مفجري داعش من العبور عبر نقاط التفتيش. وقال رئيس القيادة المركزية الأميركية في حديثه عن هجوم مطار كابول الذي أسفر عن مقتل مدنيين أفغان وجنود أميركيين "لا أعتقد أن هناك أي شيء يقنعني أن طالبان سمحت له بالحدوث".

وفي وسائل الإعلام الغربية، يستمر السرد القصصي حول الخير ضد الشر، حتى أن هناك دعوة لـ"المقاومة" ضد طالبان وشن المزيد من الحروب، بل وحرب لا نهاية لها، في حين أن نزع فتيل الحرب وإنهاء النزاع هو السبب الفعلي الذي علل به العديد من الأفغان سماحهم لطالبان بدخول مدنهم من دون أي مقاومة تذكر.

والمثير للغرابة أن هذا البحث عن الحلفاء يمثل إشكالية بالنسبة إلى الغرب ولطالبان أكثر مما يمثله للدول المحاذية لأفغانستان، لأنّ كليهما يسعى إلى خلق مستوى متسق ومتناسق خُلقياً ليبرر به أفعالهما.

وبالنسبة إلى الغرب، هناك بُعد أخلاقي وسياسي للتحالفات التي يعقدها مع الآخرين، فلا يزال من المهم للسياسيين الغربيين أن يُنظر إليهم على أنهم يتعاملون مع أطراف "نقية أخلاقياً"، وبالتالي فإن الطريقة الوحيدة لإقامة تحالفات مع مجموعات مشبوهة، هو تجاهل أو التقليل من أهمية تلك الجرائم التي ارتكبتها تلك الجماعات، وتشمل تلك الجماعات بصراحة كل شخص مهم تقريبًا على الأراضي الأفغانية نتيجة عقود من الصراع الوحشي.

إن البعد السياسي معقد بشكل كبير، لأنه لا يمكن لأي حكومة غربية قُتل مواطنوها في ساحات القتال الظهور في هيئة من ارتضى بذهاب تلك التضحيات سُدى.

كما تحتاج طالبان أيضًا إلى إظهار نقاء وطهر فكري معين، خاصة بعد قتال الغرب لفترة طويلة، فقد فقدوا أيضًا رفاقهم وعليهم أن يُثبتوا لأتباعهم أن تلك الخسائر البشرية لم تذهب هدراً، وسيكونون مدركين أيضاً حساسية انتصارهم. وتمتلك أفغانستان مليارات الدولارات التي تم ضخها إلى خارج البلد وستحتاج طالبان إلى الوصول إلى الشبكات المصرفية للحصول عليها، وأشار ممثلو طالبان بالفعل إلى أنهم يريدون اعترافًا دوليًا حقيقيًا من السفارات والدبلوماسيين.

وللحصول على ذلك الاعتراف، سيتعين عليهم فتح هيكل سلطتهم المركزي وغير الشفاف وتعاليمهم الدينية، التي ربما تكون أكثر غموضًا، كما سيتوجب عليهم تقاسم السلطة، اسمياً على الأقل، مع من حاولوا إيذاءهم، وإحدى هذه الشخصيات هو الرئيس السابق، حامد كرزاي، وقد يُجبرون على تقديم عرض له، وهو نفس كرزاي الذي قتل أخوه على يد طالبان واحتفلوا بمقتله علنًا.

ولن يخرج أي أحد من لعبة التنازلات هذه خالياً من "الدنس"، حتى أولئك الذين انتصروا ظاهريًا في الحرب يسعون جاهدين لضمان عدم تكبدهم لأي هزائم وهم يحتفلون بنصرهم.

وبالنسبة إلى باكستان، فهناك فرق ما بين تولي زمام الأمور من قبل جماعة إسلامية منبوذة ومحاذية للحدود، كما حدث في التسعينات، وأن تكون تلك الجماعة قد أطاحت للتو بالقوة العظمى المسؤولة ويتم قبولها دوليًا.

وتعتقد باكستان أن أفضل نتيجة هي أن تعمل حكومة طالبان بشكل أقل بقليل من مستوى الاحترام العالمي، لتستمر كابول في حاجتها الدائمة إلى إسلام آباد، والأسوأ بالنسبة إليها هو دولة طالبانية والتي يمكن أن تحفز نزعتها المحافظة الباكستانية.

كما أن مقارنة طالبان لهزيمتها للولايات المتحدة مع موقف إسلام أباد الأكثر مرونة تجاه السياسات الأميركية يضع باكستان في وضع صعب وهو ما يرجح أن تلجأ باكستان إلى البحث عن تحالفات بغيضة مناهضة لطالبان من أجل الحد من نفوذها.

وجعلت الهزيمة الأميركية من الجميع واقعيين، ولكن في أفغانستان حتى الفائزين يجب أن يقدموا بعض التنازلات.

إن ضرورة التعامل مع واقع حركة طالبان داخل المجتمع الدولي مع الظهور بمظهر الملتزم بالقيم والمبادئ في نفس الوقت، تستدعي طمس بعض الجرائم من قبل كل الأطراف، جميع الأطراف طالبان و"المقاومة" والسياسيين الغربيين والأفغان والجواسيس الذين ما زالوا يبحثون عن فرص عمل، سيسعدهم رؤية شيء من طمس الجرائم، طالما أن الأسلحة والمال والسلطة ستستمر في التدفق.

الأشخاص الوحيدون الذين لم يُسألوا هم أسر الضحايا، الذين اضطروا ذات مرة إلى ارتداء ملابس الحداد السوداء، وهم الآن يرون الرجال الذين تسببوا في مآسيهم يعودون إلى كابول.

مهمتنا مطاردة داعش

محاربة داعش – خراسان أولوية حركة طالبان شرق أفغانستان

إيقاف حوالي 80 عنصرا من التنظيم في جلال آباد منذ تولي الحركة للسلطة

عربون حسن نية

جلال آباد (أفغانستان) – يعدُ الملا ندا محمد الذي أصبح حاكم ولاية ننغرهار الاستراتيجية والذي كان قاتل على مدى سنوات القوات الحكومية الأفغانية وتنظيم الدولة الإسلامية، بأن يصبح التنظيم بعد وقت قصير مجرد ذكرى في أفغانستان.

وقبل أسبوعين فقط كان زعيما لتمرد حركة طالبان في ننغرهار الولاية الاستراتيجية وغير المستقرة في شرق أفغانستان، حيث تواجد المسلحون على الدوام.

الملا محمد بات اليوم حاكم الولاية، ويحيط به حوالي مئة من الحراس والمساعدين المقربين المتحدرين مثله من قندهار (جنوب) وكان مشغولا في الأيام الماضية في قصره الفخم في وسط جلال آباد، أبرز مدن المنطقة.

جلس إلى مكتبه مرتديا القميص الأبيض التقليدي واضعا عمامة وسترة سوداء بدون أكمام وقد أرخى لحيته، محاطا بعلمين كبيرين باللون الأبيض لإمارة أفغانستان الإسلامية. وقد عاد إلى السلطة بعد 20 عاما من حرب الاستنزاف ضد كابول وحلفائها الغربيين.

وروى لوكالة فرانس برس الانتصار الحاسم في أغسطس المنقضي في إقليم شيرزاد بعد "معارك طاحنة" حملت قواته إلى أبواب جلال آباد، إحدى آخر المدن الكبرى التي كانت متبقية آنذاك أمامهم من أجل السيطرة على بلد انهارت حكومته وجيشه سريعا.

في الأيام التي تلت ذلك، روى إثنان من كوادر طالبان أن الحاكم الإقليمي آنذاك مرر إليهما رسائل. يتذكر أحدهما "قال لنا لن أقاتل من أجل الرئيس (أشرف غني) ولا أريد أن تدمر المدينة". وأضاف "وافقنا على الصفقة، لم نكن نريد أيضا قتالا في المدينة".

وعلى مدى يومين، أوقف الملا محمد قواته حول المدينة وأجرى مشاورات ونظم إدارته المستقبلية. وقال "عينت قائدا للشرطة ورئيسا للاستخبارات ومديرا للجمارك".

وفي الخامس عشر من أغسطس دخلت طالبان إلى جلال آباد حيث استسلمت السلطات بدون مواجهات. بعد ساعات، سقطت كابول بالطريقة نفسها وفر الرئيس غني من البلاد.

واعترى الخوف العديد من سكان جلال آباد خوفا من ذكرى النظام الوحشي والقاسي لطالبان في تسعينات القرن الماضي، وهجماتهما الدموية التي لا تحصى بعد ذلك. وقال الملا محمد "قلنا لهم إنه لن يكون هناك مشاكل في المستقبل" مؤكدا أن طالبان ستحكم "لكل الأفغان".

لكن رغم هذه التطمينات "يخشى الكثير من الناس في المدينة على حريتهم في التعبير وأن تلاحق طالبان الذين لا يفكرون مثلهم. النساء خصوصا يتخوفن من خسارة الكثير"، كما قال أحد السكان وهو مسؤول في منظمة غير حكومية.

بعض الخبراء في المنطقة يشيرون إلى إمكانية تقارب البعض من عناصر طالبان مع تنظيم داعش – ولاية خراسان لاسيما شبكة حقاني

من جانبه يؤكد الملا محمد بكل هدوء أن السكان يدعمون إلى حد كبير طالبان والأولويتين اللتين أعلنت عنهما الحركة: النهوض بالاقتصاد وضمان الأمن.

وباستثناء الجرائم العادية، فإن الهدف الأول لزعيم الحرب السابق الذي أصبح حاكما، لا يزال تنظيم الدولة الإسلامية – ولاية خراسان الذي نفذ العديد من الهجمات الدامية في السنوات الماضية بينها التفجير الانتحاري المزدوج الذي أدى إلى مقتل حوالي مئة أفغاني و13 عسكريا أميركيا وبريطانيين اثنين قرب مطار كابول في السادس والعشرين من أغسطس.

وأثار ظهور تنظيم الدولة الإسلامية – ولاية خراسان خصوصا في ننغرهار قلق الولايات المتحدة التي انسحبت الآن من أفغانستان لكنها تريد تجنّب، بعد عشرين عاما من اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر 2001 التي نفذتها القاعدة، أن تترسخ في الولاية مجددا شبكة جهادية عالمية.

وهذا التهديد دفع واشنطن إلى التقرب من أعدائها السابقين في حركة طالبان في محاولة للقضاء على التنظيم.

وأعلن حكام أفغانستان الجدد أنهم لن يتسامحوا مع مواصلة تنظيم الدولة الاسلامية هجماته. ويقول الملا محمد مطمئنا "لن يكون لهم ملاذ معنا، نحن نلاحق مقاتليهم المختبئين".

وأضاف "لقد حاربناهم ولم يعودوا كثيرين، ومنذ وصولنا إلى السلطة (في جلال آباد)، أوقفنا 70 إلى 80 من مقاتليهم".

لكن هل ستكون الأمور بهذه البساطة؟ ويشير بعض الخبراء في المنطقة إلى إمكانية تقارب البعض من عناصر طالبان مع تنظيم الدولة الإسلامية – ولاية خراسان، لاسيما شبكة حقاني التي تعتبرها واشنطن إرهابية وقريبة تاريخيا من القاعدة. وزعيمها سراج الدين حقاني هو أحد قادة طالبان الرئيسيين.

ويقول الملا محمد "ليس هناك صلة، هذا أمر خاطئ تماما". وأضاف "معاليه سراج الدين حقاني هو أحد قادتنا، ونحن ملتزمون بحزم ضد تنظيم الدولة الإسلامية".

ويرى مراقبون أن طالبان تحاول من خلال إعلان عدائها لتنظيم داعش استمالة مواقف المجتمع الدولي التي ما زال يكتنفها شيء من الغموض حيال الحركة.

ولا يستبعد هؤلاء المراقبين أن يراهن العالم وفي مقدمته الولايات المتحدة على حركة طالبان في التصدي للتنظيم المتطرف حيث لم يترك الانسحاب العسكري الأميركي من البلاد أمام إدارة الرئيس جو بايدن أي فرصة للانتقام من داعش بشكل مباشر كما قال بايدن في تصريحات سابقة عقب استهداف التنظيم للمطار، وأن الخيار الأرجح هو رهان واشنطن على حركة طالبان لتتولى مهمة محاربة التنظيم ميدانيا مقابل حصولها على دعم استخباري أميركي قوي لإنجاح هذه المهمة.